تفـــــاضل أهل الإيمـــــــــان و رجحـــــان أهـــل اليمـــــــن

بحث في دراسات في كتب السنة٢

الأستاذ/ عبد الفتاح ايت بلخير
قسم: الحديث
كلية:العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية
شاه عليم-ماليزيا
AC222@lms.mediu.edu.my

خلاصة البحث :
هذا البحث يبحث في مسألة عقدية هامة ،فقد بين النبي –صلى الله عليه وسلم- **أن** المؤمنين يتفاضلون في الإيمان واشار إلى اليمن لرجحان الإيمان هناك-**على خلاف** بين المحدثين والفقهاء.
مفاتيح البحث : حديث ابن مسعود رضي الله عنه - اختلاف المحدثين في بعض ألفاظ الحديث -المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم"أهل اليمن"

I. المقدمة

إن مسألة تفاضل المؤمنين فيما بينهم في الإيمان تحتاج إلى تحرير وجمع لأطراف أحاديث هذه المسألة ، و ما الذي يقصده رسول الله –صلى الله عليه وسلم-**بقوله** "اهل اليمن"؟وهل هذا يدل على اختصاصهم بالإيمان الواجب دون غيرهم ؟.كل هذا سنراه باختصار ،تحت ظلال ورحال المسند الصحيح للإمام مسلم –رحمه الله-.

II. موضوع المقالة

قال الإمام مسلم –رحمه الله-:
" حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه قال حدثنا أبو أسامة ثم حول السند فقال حدثنا بن نمير قال حدثنا أبي ثم حول السند فقال وحدثنا أبو قريب قال حدثنا ابن إدريس كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد وحول السند وقال وحدثنا يحيي بن حبيب الحارس واللفظ له قال حدثنا معتمر عن إسماعيل قال سمعت قيساً يروى عن أبي مسعود قال ((**أشار النبي** صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال ألا إن الإيمان ها هنا وأن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند وصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة **ومضر**)) " **(١)**

وعن أبي هريرة، قال:**سمعت النبي** -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس)). وفي رواية: ((**رأس الكفر قبل المشرق**)) **(٢)**

وعن جابر بن عبد ،**قال:قال رسول** -صلى الله عليه وسلم-: ((**غلظ** **(٣)** القلوب، والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز))

قال الإمام النووي-رحمه الله-:

" قد اختلف في مواضع من هذا الحديث وقد جمعها القاضي عياض رحمه الله ونقحها مختصرة بعده الشيخ عمرو بن الصلاح وأنا أحكى ما ذكره قال:
(أما ما ذكر من نسبة الإيمان إلى أهل اليمن فقد صرفوه عن ظاهره من حيث إن مبدأ **الإيمان** من مكة ثم من المدينة حرسهما الله تعالى فحكى أبو عبيد ثم من بعده في ذلك **أقوالاً**:
* أحدها أنه أراد بذلك مكة فإنه يقال إن مكة من تهامة وتهامة من أرض اليمن.
* والثاني أن المراد مكة والمدينة فإن يروى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام وهو بتبوك ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة فقال الإيمان يمان ونسبهما إلى اليمن لكونهما حينئذٍ من ناحية اليمن كما قالوا الركن اليماني وهو بمكة لكونه إلى ناحية اليمن.
* والثالث ما ذهب إليه كثير من الناس وهو أحسنها عن أبي عبيد أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصارهم.

قال الشيخ أبو عمرو ولو جمع أبو عبيد ومن سلك سبيله طرق هذا الحديث بألفاظه كما جمعها مسلم وغيره وتأملوها لصاروا إلى غير ما ذكروه ولما تركوا الظاهر و لقضوا بأن المراد باليمن وأهل اليمن على ما هو المفهوم من إطلاق ذلك إذ من ألفاظه أتاكم أهل اليمن والأنصار من جملة المخاطبين بذلك فهم إذن غيرهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم جاء ((أهل اليمن)) وإنما جاء حينئذ غير الأنصار ثم أنه صلى الله عليه وسلم وصفهم بما يقضي بكمال إيمانهم ورتب عليهم الإيمان يمان فكان ذلك إشارة للإيمان إلى من أتاه من أهل اليمن لا إلى مكة والمدينة ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقة لأن من اتصف بشيء وقوي قوامه به وتأكد إطلاعه به ينسب ذلك الشيء إليه إشعاراً بتميزه به وكمال حاله فيه وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حيات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أعقاب موته كأويس القرني وكأبي مسلم الخولني -رضي الله عنهما- وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً **بكمال** إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي لهم عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله- **صلى** الله عليه- **وسلم** ((الإيمان في أهل الحجاز)) ثم أن المراد من ذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان فإن اللفظ لا يقتضيه ونشكر الله تعالى على هدايته لنا هذا ما ذكره الإمام النووي قال وأما ما ذكر عن الفقه والحكمة فالفقه هنا عبارة عن الفهم في الدين واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية بالاستدلال على أعيانها وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قالها على بعض صفات الحكمة قال فقد صفى لنا منها أن حكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن إتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك وقال أبو بكر ابن دُريد كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم ومنهم قول النبي صلى الله عليه وسلم ((إن من الشعر حكمة وفي بعض الروايات حكماً)) **و أعلم** "**شرح النووي**

وقال القاضي عياض-رحمه الله-: **في** "**إكمال المعلم**"

" وقوله: في حديث ابن مسعود: ((ما من نبي بعثه الله...)) **الحديث**، وفيه: ((**إلا كان** له من أمته حواريون...)) قال الأزهري: الحواريون خلصاء الأنبياء، ومعناه: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وحواري الدقيق الذي نخل. وقال يونس: هم خلصاؤهم وخاصتهم، وقال السلمي: هم الأخلاء، وقال ابن الأنباري: هم المختصون المفضلون، **ومنه خبر الحواري** لأنه أشرف الخبر وأرفعه .

وقال غيره: إنما سمي بذلك أنصار عيسى؛ لأنهم كانوا يغسلون الثياب ويحورونها أي .يبيضونها، وقيل: **لأن ناصر لسنة**: حواري تشبيهًا بأولئك .

قال ابن الأنباري: في الحواريين خمسة أقوال: قال أهل اللغة: هم البيض الثياب، وقيل: .هم المجاهدون، وقيل: الصيادون، وقيل القصارون، وقيل: **الملوك**.

وقوله: ((ويخلف من بعدهم خلوف)) هو جمع خلف بالإسكان، وهو الذي يأتي بعد **الآخر.قال تعالى**: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} **(٤)**

ويقال فيه: خلف بالفتح أيضًا، ومنه الحديث: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله))، .وحكى الفراء الوجهين في الذم، والفتح في المدح لا غير
.وحكى أبو زيد الوجهين جميعًا فيهما معًا، وقاله الحربي عنه وغيره.

وقوله: ((من جاهدهم بيده فهو مؤمن)) الحديث من معنى الأول، وإن أقل التغيير تغيير القلب، وأضعف مراتب تغيير أهل الإيمان، وإن لم يفعل ذلك ولا أنكره بقلبه فقد رضيه، وليس ذلك من الإيمان.

وقوله:**قال صالح: وقد تحفظ بنحو ذلك عن أبي رافع:** يريد أن صالح بن كيسان راوي الحديث عن الحارث وهو ابن فضيل الخطمي عن جعفر بن عبد الله **بن الحكم عن عبد الرحمن بن المسور عن أبي رافع عن ابن مسعود قال:** إن هذا الحديث تحدث به عن **أبي رافع عن النبي** -صلى الله عليه وسلم- لم يذكر فيه ابن مسعود، وقد ذكره البخاري في تاريخه **كذلك- مختصرًا عن أبي رافع عن النبي** -صلى الله عليه وسلم- **وقد قال** الجياني عن أحمد بن حنبل أنه قال: الحارث بن فضيل الخطمي ليس بمحفوظ الحديث، "وهذا كلام لا يشبه كلام ابن مسعود، وابن مسعود يقول: **"اصبروا حتى تلقوني.**
وقوله: في هذا الحديث: **((قفل يقفلة))** كذا للسمرقندي، وهو الصواب، وقفاة واد من أودية المدينة عليه مال من أموالها. **وجاء في** رواية الجمهور "بفنائه" وهو خطأ وتصنيف" انتهى كلامه رحمه الله

وقال الإمام أبو العباس القرطبي -رحمه الله-:
" قوله: **أشار النبي** -صلى الله عليه وسلم- نحو اليمن وقال: ((ألا إن الإيمان هاهنا)) قيل: إن هذه الإشارة صدرت عنه عليه -**الصلاة والسلام**- وهو بتبوك وبينه وبين اليمن مكة والمدينة، ويؤيد هذا قوله في حديث جابر: ((الإيمان في أهل الحجاز)) فعلى هذا يكون المراد بأهل اليمن أهل المدينة ومن يليهم إلى أوائل اليمن، وقيل: **كل** بالمدينة، ويؤيده: أن كونه بالمدينة كان غالب أحواله، وعلى هذا، فتكون الإشارة إلى سباق اليمن، أو إلى القبائل اليمنية الذين وفدوا على أبي بكر لفتح الشام وأوائل العراق، وإليهم الإشارة بقوله -عليه الصلاة والسلام-: **((إني لأجد نفس الرحمن من** قبل اليمن)) **أي:** نصره في حياته، وتنفيسه عنه فيها وبعد مماته، والله تعالى أعلم.
وسمي اليمن يمنًا؛ لأنه عن يمين الكعبة، وسمي الشام شامًا؛ لأنه عن يسار الكعبة، مأخوذ من اليد الشؤمى، وهي: اليسرى.
قال المؤلف -رحمه الله **تعالى**- وأما الحديث فليس فيه إلا رواية التشديد، وهو الصحيح، على ما قاله الأصمعي وغيره.

وقوله في أهل اليمن ((هم أرق أفئدة وأضعف قلوبًا)) يعني: من أهل المشرق لا من أهل الحجاز؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- قد قال في الحديث الآخر: ((والإيمان في أهل **الحجاز**)). واليمن من الحجاز، كما سيأتي بيانه -**إن شاء الله تعالى**- وقد وصف أهل اليمن في هذا الحديث بضد ما وصف به أهل العراق، فإنه قابل وصفي القسوة والغلظ بوصفي الرقة والضعف، والرقة في مقابلة القسوة، والضعف يقابل الغلظ، فمعنى أرق: **أخشع، ومعنى أضعف:** أسرع فهمًا وانفعالًا للخير.

وقوله: ((والسكينة في أهل الغنم)) **أي:** السكون والوقار، والتواضع والتفخر: التفاخر بالآباء الأشراف، وكثرة الأموال، والخول، والجاه، وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا. والخيلاء: ممدودة، وزنه عند سيبويه فعلاء، وهي التكبر والتعاظم، يقال: **خال الرجل**، يخول، فهو خال، وذو خال ومخيلة، ومنه قول طلحة لعمر: إنا لا نخول عليك، **أي: لا نتكبر**. ويقال: اختال، يختال، فهو مختال، ومنه قوله تعالى: {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}. ((وأهل الوبر)) يعني به: أهل ذات الوبر، وهي الإبل. **والوبر للإبل كالصوف للغنم، والشعر للمعز، ولذلك قال تعالى:** {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} **(0)**.
وهذا منه -صلى الله عليه وسلم- إخبار عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل وأغلبه. **ورأس الكفر:** معظمه، ويريد أن كثرة أهله ورياستهم هناك. **والحجاز سمي** بذلك لحجزه بين نجد وتهامة، قاله القتبي. وقال ابن دريد: لحجزه بين نجد والسراة. **قال الأصمعي:** إذا انحدرت من ثنايا ذات عرق فقد أتهمت إلى البحر، فإذا استقبلك **الحرار فذلك الحجاز**. وسميت بذلك لأنها حجزت بالحرار الخمس. وقيل: **حد الحجاز من** جهة الشام شعب، ومما يلي تهامة بدر وعكاظ. **قال بعض علمائنا:** يجوز أن يكون المراد بالحجاز في هذا الحديث المدينة فقط؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- **قال:** ((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة)). "
. **انظر** المفهم.

.
ومن نفيس ما ختم الأمام النووي هذا الباب قوله :
" ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقة لأن من اتصف بشيء وقوي قوامه به وتأكد إطلاعه به ينسب ذلك الشيء إليه إشعاراً بتميزه به وكمال حاله فيه وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حيات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أعقاب موته كأويس القرني وكأبي مسلم **الخولاني** -رضي الله عنهما- وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي لهم عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله- صلى الله عليه- **وسلم** ((الإيمان في أهل الحجاز)) **ثم أن المراد** من ذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان فإن اللفظ لا يقتضيه ونشكر الله تعالى على هدايته لنا " **انظر -شرح النووي-**

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا

المصادر والمراجع

١- أبو العباس القرطبي- "كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" -**دار السلام**
٢- القاضي عياض- "**إكمال المعلم بفوائد مسلم** "-دار الوفاء للنشروالتوزيع**١٩٩٨ م**
٣- يحيى بن شرف النووي(شرح النووي على صحيح مسلم)**دار الفكر، ١٤١٧ هـ**
٤- الإمام مسلم- "المسند الصحيح"-دار النشر بيروت-**طبعة ٢٠٠٨م**
٥- الإمام النووي- كتاب (تهذيب الأسماء واللغات،)دار الثقافة العلمية-**الجزء١-الطبعة الأول**

---

(١) : رواه أحمد (٢/ ٥٤١)، والبخاري (٣٣٠٢)، ومسلم (٥١)
.(٢) : رواه أحمد (٢/ ٤٨٠ و ٤٨٨)، والبخاري (٣٤٩٩)، ومسلم (٥٢)
(٣): رواه أحمد (٣/ ٣٤٥)، ومسلم (٥٣)
(٤) : سورة مريم-الآية **٥٩**
(٥)سورة النحل-الآية **٨٠**